كان نبيكم فيما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وفي الخبر ان بعض الصحابة قال رجل انه لنوم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتبتم اخاكم سلوه ان يستغفر لكم وفي خبر آخر
انهم قالوا ما اعجزه فلانا فقال اكلتموه وفي حديث عائشة رضي الله عنها انها قالت
لامرأة ما اطول ذيلها وفي لفظ آخر قالت لامرأة ما الطول انها قصيرة فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اغتبتيها وفي خبر آخر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لها قد تكلمت بكلمة لو مزج بها ماء البحر لامتزج فهذا من وصف المبالغة في
الستر، **وفي الخبر الجامع** لهذه المعاني في وصف الغيبة ما روي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في اخيه ما فيه فقد اغتابه وفي حديث
ابان عن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد من ذلك انه قال الغيبة ما ان
قلته في اخيك لم تذكره به فهذا انما ابتذ القول حق الشرة وغاية التشفي في الغيبة
اسم لغوي معناه شرعي مشتق من غيبة الانسان وقد سماها رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا ان يقول العبد في اخيه ما فيه وعظمها بقوله هي اشد من الزنا لجنى فان
العبد لا خير في غيبته ما يعلمه بعينه فيه مما لا يقوله بحق، او مما يقصد به او لا بكبر
وقد اغتابه فلو لم يكن في الصمت الا السلامة من الغيبة لكان ذلك غنيمة
موجودة لعبيد وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم كل كلام ابن آدم عليه لا له
الا ثلاث امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله عز وجل واما محل الطمعة للناس فانها تضعف
العزم الذي يكون قويا في اعمال البر وتحل العقد المبرم الذي استوطنه العبد في
الخلوة لقلة المنازلة وتبعث على البر والتقوى وكثرة المتعة وتبعث على الاثم والعدوان
وفي محل الطمعة الناس قوة الطلب والحرص على عاجل الدنيا لما يعاين من اقبال اهلها
عليها وفيه الفتور عن الخدمة والنظر الى اهل الغفلة والملل للطاعة ومجالسة
اهل البطالة ونقصان حلاوة المعاملة وذهاب نور العلم ومنعة خروج الوجد
بالفهم لاستماع كلام اهل الجهالة والنظر الى الموتى من ابناء الدنيا كما روي عن
عيسى عليه السلام لا تجالسوا الموتى فتموت قلوبكم قيل ومن الموتى قال المحبون
للدنيا الراغبون فيها وقد كان الحسن يقول في قوله عز وجل وما يستوي الاحياء ولا الاموات
قال العقلاء ولا الغافلون. كان العقلاء احياء بذكر الله عز وجل والغافلون اموات على الدنيا
واعظم ما في محل الطمعة الناس ومجالسة اهل البطالة ودوي غفلتهم ضعف اليقين
بربوبيتهم واخص ما ابتلي به العبد واعمله في هلاكه واشده تحجبه وابعاده، ضعف
يقينه بالوعد بالغيب وتوعده عليه في الشهادة وهذا اخوف ما خاف به رسول الله صلى
الله عليه وسلم على امته **فيما روينا** عنه انه قال اخوف ما اخاف على
امتي ضعف اليقين وذلك ان ضعف اليقين هو اصل الرغبة في الدنيا والحرص على التكاثر
منها والتضرع الى ابنائها والطمع فيهم كما قال ابن مسعود ان الرجل ليخرج من بيته

ومعه

ومعه دينه فيرجع الى بيته وما معه من دينه شيء. يلقى هذا فيقول انك لذيت وذيت
ويلقى هذا فيقول انت كيت وكيت ولعله لا يحلى منهم بشيء ويرجع الى بيته وقد
اسخط الله عز وجل وقد قال بعض التابعين ان العبد ليعقد في الخلوة على خصال
من الخير فيخرج الى الناس فيحل الوثيق ما عقده عقدة حتى يرجع وقد انحلت عقده كلها
وقوة اليقين اصل كل عمل صالح لانه في قوة يقينه بسم عن منقلبه وطول مثواه في
دار اقامته ايثار الثقلان من العاجلة ونفعه للباقية وضعف حرصه وقلة طلبه ويصغر
طمعه ويزهد من الاشتغال بعاجلته وقبل الله وشغله بما قرب اليه من مستقره في
جميع ذلك الاخلاص في اعماله وحقيقة زهده في نظره احواله وفي منع اماله وتحسين
عمله الم تسمع الى وصف من اخبر الله عز وجل عنه بالتكاثر الذي الهاه حتى زار رمسه
ومثواه كيف ذم حتى يعلم يقينا وتوعد لما راى. اخبر تعالى فقال سبحانه الهاكم
التكاثر اي شغلكم الجمع للمكاثرة حتى زرتم المقابر ثم قال كلا لو تعلمون علم
اليقين اي لشغلكم العمل الصالح للآخرة عن اللعب واللهو الذي هو مقتضى الشك انه
هو ضد اليقين فلاشتغلتم بالآخرة عن التكاثر من الدنيا كما اشغلكم التكاثر باللهو
واللعب لعدم علم اليقين كما قال ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون
بعد ان قال بل هم في شك يلعبون ثم توعدهم على ذلك لترونها وتمردهم بالسؤال
عن النعيم الذي شغلهم وهو التكاثر من فضول العاجل وقيل الجمع والمنع واعلم
ان الذي قطع العباد عن التوبة وعوج بالتائبين والاستقامة ثلاثة اشياء.
الكسب والاتلاف والجمع وهذه الاشياء متعلقة بالخلق وموجودة بوجودهم
ومفقودة بالانقطاع عنهم فمن زهد هذه الثلاث فقد زهد في الخلق ومن رغب في الخلق
فقد رغب في هذه الثلاث وقال الثوري من خالط الناس داراهم ومن داراهم راياهم
ومن راياهم وقع فيما وقعوا فهلك كما هلكوا وقد قال بعض هذه الطائفة من
السائحين قلت لبعض الابدال المنقطعين عن الخلق كيف الطريق الى التحقيق وقال
مرة قلت له دلني على عمل اجد فيه قلبي مع الله تعالى في كل وقت مع الدوام فقال
لا تنظر الى الخلق فان النظر اليهم ظلمة قلت لا بد لي فقال لا تسمع كلامهم فان كلامهم
قسوة قلت لا بد لي من ذلك فقال فلا تعاملهم فان معاملتهم وحشة قلت انا بين
اظهرهم ولا بد من معاملتهم قال فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة قلت
هذه العلة فقال يا هذا اتنظر الى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين
وتريد ان تجد قلبك مع الله عز وجل على الدوام هذا ما لا يكون وقد جاء في فضل العزلة ودم
ولا تقع الا وفي فضل الصمت وفي جميع ما ذكرناه من الجوع والسهر ما يكفي جميعه وفيما نبهنا
عليه واشرنا اليه بلاغ وغنية لمن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن ولم يزل
بالمعاملة والمراجعة ولا قوة الا بالله

Copyright King Saud University